مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 13 / العدد: 02 (السنة2025)، ص: 239-252

التنازع البشري في فكر علي الوردي - تحليل سوسيولوجي-

Human conflict in Ali Al-Wardi's thought - a sociological analysis-

د.ترايكية يامنة [1]

[1] جامعة محمد البشير الإبراهيمي (الجزائر)، yamna.traikia@univ-bba.dz

تاريخ الاستلام: 2024/11/16 تاريخ القبول: 2025/05/05 تاريخ النشر: 2025/09/01

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم التنازع البشري في فكر الوردي حيث تطرقنا إلى أنواع التنازع البشري وأهم أسبابه وأهميته مع التعاون في تطوير المجتمع ، وأصل الصراع داخل الإسلام .

وقد توصلنا إلى أن التنازع البشري مهم لتطور المجتمعات حيث يساهم في تغيير المجتمع ليس فقط سلبيا بل ايجابيا أيضا ، ويأخذ الصراع عدة أشكال منها ما يأخذ طابع حيواني ومنها ما يغلب عليه طابع الذكاء والحضارة وتعود أسباب التنازع إلى طبيعة الانسان الحيوانية وعدم قدرته على إشباع حاجاته كلها وأنانيته وحبه لذاته ، كل هذه العوامل تساهم في خلق الدافع لدى الفرد للتحرك وتحريك المجتمع كنتيجة لذلك ، فالتعاون وحده غير كاف لبناء المجتمع لابد أن يمتزج بالصراع ، أما فيما يتعلق بأصل الصراع في الدين الاسلامي فهو صراع بين نزعتين نزعة التعالي و نزعة الخضوع والمثالية ، فالنزعة الأولى تسعى لتأسيس دولة أما الثانية فتسعى لتأسيس دين .

كلمات مفتاحية: علي الوردي، التنازع البشري، فكر، تحليل سوسيولوجي.

Abstract:

This study aimed to identify the concept of human conflict in Al-Wardi's thought, as we touched on the types of human conflict, its most important causes and importance with cooperation in developing society, and the origin of conflict within Islam.

We have concluded that human conflict is important for the development of societies, and conflict takes several forms, some of which are animal in nature, some of which are predominantly intelligent, and the causes of conflict are due to man's animal nature and his inability to satisfy his needs and selfishness, All of these factors

contribute to creating the individual's motivation to move and mobilize, Society as a result,Cooperation does not build society, It must be mixed with conflict,As for the conflict in Islam, it is a conflict between two tendencies: the tendency of superiority and transcendence and the tendency of submission and idealism.

Keywords: Ali Al-Wardi, human conflict, thought, sociological analysis.

***المؤلف المرسل:** د.ترايكية يامنة

1. مقدمة

يعتبر علي الوردي أحد أبرز المفكرين والمثقفين العرب ، حيث كان له تأثير كبير في مجال علم الاجتماع والدراسات الانسانية والاجتماعية بشكل عام، كما كان من أبرز المساهمين في إنشاء علم اجتماع عربي من خلال دراسة وتحليل التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي حدثت وتحدث في المجتمع العراقي والمجتمعات العربية وهو يعتبر من الأوائل الذين استخدموا المنهج السوسيولوجي في تحليل المجتمع العربي، وقد ترك إرثًا فكريًا يعتبر مرجعًا أساسيًا في علم الاجتماع في العالم العربي .

كما اشتهر الوردي بمواقفه النقدية تجاه بعض الأيديولوجيات والممارسات الاجتماعية السائدة في المنطقة، وخاصة تلك التي تتعلق بالعادات والتقاليد ، السلطة ، الأديان، التطرف الديني، الانقسامات الطائفية، فهو يعتبر من المفكرين الذين لا يسايرون الأوضاع السائدة في مجتمعه، وذلك لتناول الوردي الكثير من المواضيع الاجتماعية الحساسة منها : الطائفية والمذهبية ، الصراع بين التقاليد والحداثة ، التوترات الطبقية في المجتمع العراقي ، طبيعة النفس البشرية، وغيراها من المواضيع، لكن ما يهمنا في دراستنا هذه هو موضوع النزاع أو الصراع الاجتماعي ، حيث يعتبر من أبرز المواضيع التي تناولها الوردي بالدراسة والتحليل .

النزاع الاجتماعي في نظر الوردي ليس مجرد ظاهرة عابرة، بل هو جزء أساسي من الهيكل الاجتماعي المعقد في المجتمعات العربية، وخصوصًا العراق حيث أن النزاع بين الطبقات الاجتماعية، الطائفية، والتوجهات الثقافية والسياسية كان جزءًا من صورة أكبر تكشف عن التحديات التي تواجهها المجتمعات العربية في طريقها نحو التقدم الاجتماعي والسياسي، ورغم أن الوردي كان يعتقد أن هذه النزاعات يمكن أن تكون سببًا في التغيير الاجتماعي، إلا أنه كان أيضًا

يحذر من تداعياتها إذا لم يتم التعامل معها بحكمة ووعي اجتماعي، حيث أن تفاقم النزاع الاجتماعي قد يؤدي إلى تفكيك النسيج الاجتماعي وإعاقة التقدم.

ولفهم وتمحيص أكثر لطروحات علي الوردي في هذا الموضوع سنحاول أن نستعرض مفهوم النزاع الاجتماعي في فكره بطريقة معمقة من خلال تحليل أنواع النزاع الاجتماعي وأهم أسبابه ، بالإضافة الى إبراز العلاقة الموجودة بين التعاون والصراع ، والتطريق الى الصراع داخل الاسلام وأصوله حيث تهدف هذه الدراسة إلى :

- التعريف بعلي الوردي والتعرف على أبرز كتبه.
- التعرف على مفهوم النزاع البشري في فكر علي الوردي
- التعرف على أنواع التنازع البشري وأهم أسبابه عند الوردي.
- التعرف على أهمية التعاون والتنازع في تطور المجتمع من وجهة نظر الوردي .
- التعرف على أصل الصراع داخل الدين الاسلامي وأهم أسبابه .

ومنه تتأسس هذه الدراسة على التساؤلات التالية:

- من هو علي الوردي وما هي أبرز كتبه وأبحاثه؟
- ما مفهوم النزاع البشري عند الوردي وما هي أبرز أنواعه وأسبابه؟
- ما الأهمية الموجودة بين التعاون والتنازع وما دورهما في تطوير المجتمع؟
- ما أصل الصراع داخل الاسلام وما هي أهم أسبابه؟

2. التعريف بعلي الوردي وأبرز كتبه:

قبل التطرق إلى مفهوم التنازع البشري عند علي الوردي وأبرز أسبابه ، في البداية لا بد من التعريف بهذا المفكر الذي يعد من أهم علماء الاجتماع العرب وأكثرهم إثارة للجدل.

1.2 نبذة عن حياة علي الوردي:

ولد علي حسين محسن عبد الجليل الوردي في مدينة الكاظمية في ضواحي بغداد عام 1913 وتوفي سنة 1995 ، وقد درس في مدارس مدينة الكاظمية ، ولتفوقه في الدراسة الثانوية أرسلته الحكومة العراقية للدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت حيث تخرج منها ثم عاد إلى العراق وعمل في التدريس لمدة ثلاث سنوات ثم أرسل إلى جامعة تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية

لينال منها شهادة الماجستير بعنوان دراسة في سوسيولوجيا الإسلام ثم حصل على شهادة الدكتوراه بعنوان نظرية المعرفة عند ابن خلدون ، ويعد علي الوردي من رواد العلمانية في العراق كما يعتبر الرائد الأول في تأسيس علم الاجتماع في الوطن العربي كعلم منفصل عن باقي العلوم الاجتماعية وقد استمر في التدريس إلى غاية سنة 1969 ، أحيل بعدها للتقاعد بناءا على طلبه ليتفرغ للكتابة والبحث (الوردي، دراسة في سوسيولوجيا الاسلام،2013، ص ص ، 10،11)

2.2 أهم كتبه:

كتب الوردي ثمانية عشر كتابا ومئات البحوث والمقالات، أربع كتب منها قبل ثورة 14 تموز 1958 وكانت ذات أسلوب أدبي - نقدي ومضامين تنويرية جديدة وساخرة لم يألفها القارئ العراقي ولذلك واجهت أفكاره وآراءه الاجتماعية الجريئة انتقادات لاذعة وبخاصة كتابه " وعاظ السلاطين" الذين يعتمدون على منطق الوعظ والإرشاد الأفلاطوني منطلقا من أن الطبيعة البشرية لا يمكن إصلاحها بالوعظ وحده، وأن الوعاظ أنفسهم لا يتبعون النصائح التي ينادون بها وهم يعيشون على موائد المترفين , كما أكد بأنه ينتقد وعاظ الدين وليس الدين نفسه، أما الكتب التي صدرت بعد ثورة 14 تموز فقد اتسمت بطابع علمي ومثلت مشروع الوردي لوضع نظرية اجتماعية حول طبيعة المجتمع العراقي وفي مقدمتها كتابه دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ومنطق ابن خلدون ولمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث الذي صدر في ثمانية أجزاء (مدونة فكر بلا قيود، 2015)

لقد تنبأ الوردي بانفجار الوضع مثلما تنبه إلى جذور العصبيات التي تتحكم بشخصية الفرد العراقي التي هي واقع مجتمعي تمتد جذوره إلى القيم والأعراف الاجتماعية والعصبيات الطائفية والعشائرية والحزبية التي ما زالت بقاياها كامنة في نفوسنا، وكذلك إلى الاستبداد السلطوي، الزمني ، الذي شجع وما يزال يشجع على إعادة إنتاج الرواسب الاجتماعية والثقافية التقليدية القديمة وترسيخها من جديد، كما يحدث اليوم. (مدونة فكر بلا قيود، 2015)

ومن أبرز كتبه نذكر مايلي :

مهزلة العقل البشري، وعاظ السلاطين، خوارق اللاشعور (أو أسرار الشخصية الناجحة)،هكذا قتلوا قرة العين، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (8 أجزاء)،الأحلام بين العلم والعقيدة، منطق ابن خلدون، قصة الأشراف و ابن سعود، أسطورة الأدب الرفيع، شخصية الفرد

العراقي، بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث، أكثر من 150 بحثا مودعة في مكتبة قسم علم الاجتماع في كلية الآداب جامعة بغداد. (مدونة فكر بلا قيود، 2015)

3. مفهوم التنازع البشري وأهميته :

يؤكد علي الوردي في كتابه "مهزلة العقل البشري" على أهمية الاختلاف - وليس الاتفاق - في تطور البشرية ، ويطرح فرضيته في أن مايسميه بـ (التنازع الاجتماعي) هو مفتاح نماء المجتمعات الإنسانية وتقدمها ، حيث يقول:((إن الاتفاق يبعث التماسك في المجتمع، ولكنه يبعث فيه الجمود أيضا، فاتحاد الأفراد يخلق منهم قوة لا يُستهان بها تجاه الجماعات الأخرى ، وهو في عين الوقت يجعلهم عاجزين عن التطور أو التكيّف مع الظروف المستجدة، إن التماسك الاجتماعي والجمود توأمان يولدان معا ، ومن النادر أن نجد مجتمعا متماسكا ومتطورا في آن واحد، إن المجتمع المتماسك يشبه الإنسان الذي يربط إحدى قدميه إلى الأخرى فلا يقدر على السير، والرباط الاجتماعي مؤلّف من التقاليد القديمة ، فإذا ضعفت هذه التقاليد وبدأ التنازع الفكري والاجتماعي، استطاع المجتمع أن يحرّك قدميه ويسير بهما في سبيل التطور الذي لا يقف عند حد ، إذا رأيت تنازعا بين جهتين متضادتين في مجتمع، فاعلم أن هاتين الجهتين له بمثابة القدمين اللتين يمشي بهما)). (الوردي، **مهزلة العقل البشري** ، 1994 ، ص ص. 20 -21)

والوردي لا ينكر المساوئ التي يمكن أن يحملها الصراع الاجتماعي فليس هناك في الكون شيء خير كله أو شر كله ، فالصراع قد يكلّف المجتمع ثمنا باهظا ، فهو أولا مجازفة نحو المجهول ، وهو ثانيا مثير للقلق وسالب للطمأنينة من النفس البشرية ، إن المجتمعات المتطورة تقوم على الحركة الدائبة للناس والمصحوبة بكثير من القلق ، وهذه سمة غير موجودة في المجتمعات الراكدة التي تشعر بثقل الزمن وتسير على أساس مبدأ "العجلة من الشيطان" ، وأمام الإنسان الحديث طريقان متعاكسان يستحيل الجمع بينهما : إما طريق الطمأنينة والركود ، أو طريق القلق والتطور، حيث يقول الوردي:((يُخيّل إلى بعض المغفّلين من المفكرين أن المجتمع البشري قادر على أن يكون مطمئنا مؤمنا متمسكا بالتقاليد القديمة من جهة ، وأن يكون متطورا يسير في سبيل الحضارة النامية من الجهة الأخرى ، وهذا خيال غريب لا ينبعث إلا في أذهان أصحاب البرج العاجي الذين يغفلون عن حقيقة المجتمع الذي يعيشون فيه)). (الوردي ، **مهزلة العقل البشري** ، ص 22)

إن مسألة ترابط القلق والألم والعناء بالمدنية يعد بالنسبة للوردي قاعدة أساسية ينبغي أن يضعها أي شعب يبغي التطور والنهوض نصب عينيه، وهو يستعير بعبارة (لأرنولد توينبي) حيث يقول :

((إن المدنية مسرح الشيطان ومجاله الذي تخصّص فيه ، وأن المدنية هي نتاج التنازع بين الله والشيطان، فقد خلق الله الشيطان عمدا وسلّطه على الإنسان لكي يسيّره في سبيل المدنية)) (الوردي ، **مهزلة العقل البشري** ، ص 23)

ليربطها بموقف نقيض لرجل دين هو(الشهرستاني) في كتابه ((الملل والنحل)) والذي يرى أن لعنة الله حلت على إبليس بسبب احتكامه على الله بكلمة (لماذا) ، وأنّ كل شُبهة وقعت لبني آدم منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا ، نشأت كلها من هذه الكلمة الرعناء " لماذا ؟ " ، لكن الوردي يرى أن هذه الكلمة ، الـ " لماذا " هي مفتاح التطور في المجتمع لأنها تعني الشك ، ولا حركة في المجتمع من دون شك في المسلّمات التي يحاول وعاظ السلاطين-وهو مصطلح يستعمله الوردي للإشارة إلى أولئك الذي اعتادوا دعوة الناس إلى المثل العليا وتخويفهم من الانحراف عنها دون مراعاة طبيعتهم البشرية وظروفهم الاقتصادية والاجتماعية - لترسيخها في أذهان الناس ليوصلوهم إلى ما يسميه الوردي "البلاهة العامة" ، فإن الـ "لماذا" هي العدو الأول لوعاظ السلاطين ، وهو يرى أنها تثير الجدل الذي يُنهى عنه شرعا ، وأن سرّ معاداة وعاظ السلاطين لمنجزات المدنية الحديثة التي جاءت من الغرب هو إحساسهم إحساسا باطنيا بأن هذه الأمور الجديدة - على تفاهة بعضها - كقص الشعر والزي الحديث ستؤدي بالعقل إلى التحرّر تدريجيا ، وبذا فهي ستدفع الفرد ، من حيث يشعر أو لا يشعر ، إلى الشك والتساؤل في كل شيء (الوردي ، **مهزلة العقل البشري** ،ص ص 23- 26)، وهنا الطامة الكبرى يقول الوردي فـ :((الفكر البشري حين يشكّ في أمر واحد من أمور حياته ، لا يستطيع أن يقف في شكّه عند هذا الحد، فالشكّ كالمرض المعدي لا يكاد يبدأ في ناحية حتى يعمّ جميع النواحي ، والإنسان إذ يكسر تقليدا واحدا لابد أن يأتيه يوم يكسر فيه جميع التقاليد ، وهو بذلك قد استفاد من جهة ، وتضرّر من جهات أخرى، ومن هنا جاء قول القائل : "من تمنطق فقد تزندق")). (الوردي ، **مهزلة العقل البشري** ،ص 27)

والشكّ هو مصدر الشر في المجتمع ، ولكنه شرٌّ ضروري يكمل الخير بالصراع ، وهذه النظرة طرحها أولا المتصوفة ثم أنضجها ابن خلدون في مقدمته ، وبذلك يكون المتصوفة وابن خلدون قد

سبقا "هيغل" بعدة قرون في نظريته المعروفة التي ترى أن كل شيء يحتوي على نقيضه في صميم تكوينه ، وإنه لا يمكن أن يوجد إلا حيث يوجد نقيضه معه . (سرمك، 2021)

ويرى الوردي أن هذا الشك هو من صلب المدنية الحديثة ، وعليه فإن سلبيات هذه المدنية لا يمكن تجنبها، وأننا مجبرون على أن نأخذ سلبياتها وإيجابياتها على حدّ سواء، وهي وجهة نظر فريدة ، حيث يعتقد الكثيرون أننا من الممكن أن نتطور في طريق المدنية ، وتبقى مجتمعاتنا آمنة مطمئنة محافظة على قيمها على حالتها السابقة وهذا الأمر مستحيل (سرمك، 2021)

4. أنواع التنازع البشري:

يتبنى الوردي وجهة نظر البرفسور(كارفر) في قوله أن التنازع صفة أساسية في الطبيعة البشرية، حتى التعاون في رأيه ما هو إلا صورة من صور التنازع، فالإنسان يتعاون مع بعض الناس لكي يكون أقدر على التنازع ضد البعض الآخر ويقسم البروفيسور (كارفر) التنازع إلى أربعة أقسام: (الوردي : **مهزلة العقل البشري**، ص 87)

النوع الأول : وهو أوطأ أنواع التنازع وأقربها إلى الطبيعة الحيوانية الأولى، ففيه تكون للقوة البدنية المكان الأول حيث يعتمد الفرد على قوته لتحطيم خصمه أو إيذائه.

النوع الثاني: يدخل فيه شيء من الرؤية واستخدام الذكاء، وهو يتخذ شكل السرقة أو الاحتيال أو الغش وما إلى ذلك من أمور تمثل النزاع البشري من وراء ستار.

النوع الثالث: وهو الذي يكاد يسود العالم المتحضر، ويتخذ أشكالًا متنوعة، فهو بين الرجل والمرأة يتخذ شكل الغزل ومبادلة الغرام، وهو بين الأحزاب السياسية يتخذ شكل الحملات الانتخابية والمهرجانات الحزبية، وهو بين الشركات التجارية يتخذ شكل الإعلانات الصارخة والأغلفة الملونة، وهو بين الطوائف السياسية والدينية يتخذ شكل المحسوبية والوساطة والمحاباة.

النوع الرابع: هو النوع المنتج الذي يؤمل أن يسود العالم في يوم من الأيام، وهو يتمثل في المنافسة العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية على أساس هادئ لا تحاقد ولا تباغض فيه. (الوردي : **مهزلة العقل البشري**، ص 87)

والظاهر أن الإنسان مجبول على التنازع في صميم تكوينه فإذا قل التنازع في محيطه لجأ إلى اصطناع تنازع وهمي ليروح به عن نفسه ، والإنسان لا يستطيع التخلص من نزعة التنازع بل يتحول من صورة إلى أخرى ومن الملاحظ أن ينتقل من النوع الأسفل إلى الأعلى كلما تقدمت الحضارة . (الوردي : **مهزلة العقل البشري**، ص 88)

إن الحياة الاجتماعية ليست إلا صراعا متواصلا بين المصالح الخاصة كما يتصارع التجار ويتنافسون كل يسعى وراء ذاته ، ولكن المجتمع ينتفع من هذا الصراع الجاري وراء المصالح الذاتية ، إذ هو يحصل على النتيجة الأخيرة حيث تنمو بها ثروة علمية واقتصادية والسياسية ، وهذه الثروة التي يحصل عليها المجتمع من جراء التنازع بين أفراده وجماعته تكلفه ثمنا باهظا ، ففي سبيله تزهق الأرواح ومشكلة الحياة أنها لا تعطي أي شيء دون ثمن. (الوردي : **مهزلة العقل البشري**، ص 88)

فالمدينة التي دائما ندعو إليها وتحمل صفة المجتمعات الملائكية أين يكون كل المجتمع طيبين لا يتخاصمون ولا يتنازعون ولا يحسدون وهم مترفون وذوو رفاه، قد تكون مدينة ملائكية لا تتقدم بها الحضارة وتكون راكدة، فبعض التنازع والتنافس نعم يؤذي الإنسان لكن تستفيد منه الحضارة البشرية للتقدم، فالإنسان مجبول في صميم تكوينه على التنازع، فلولا التنازع والتنافس لما تقدمت البلدان والتكنولوجيا وظهرت حضارات مختلفة على أنقاض حضارات أخرى كانت تتنافس سواء بالقتل والحروب أو الاقتصاد أو التكنولوجيا أو الفكر، فهذه طبيعة بشرية وفطرة بشرية ومفيدة للحضارة والتقدم البشري أكثر مما يراه الإنسان مضرًّا للبشر (في جانب النزاع الحربي والقتال نعم الكل يتجنب هذا بتنافس آخر قد يكون سياسيا على شكل حوار سياسي أو اقتصادي.. إلخ) وقد يكون صحيحًا في بعض جوانبه وطرق التنافس، يذكر أنه في أيام الحرب العالمية كانت الاختراعات والابتكارات والتكنولوجيا والتصنيع أكثر بـ50% مما هو عليه بعد فترة انتهاء الحروب لماذا؟ لأن المنافسة كانت شديدة بين الدولة لكسب التسلح والحقيقة هي آذت البشر وقتلت الكثير لكن دفعت بالحضارة البشرية إلى الأمام بشكل كبير من خلال الاختراعات. (الريكاني، 2021)

بينما لو كانت المجتمعات ملائكية لا يسود فيها التنازع وكل أفرادها متحابين غير متنافسين مترفين ورفاهية لقال أحدهم لمَ التنافس وأشغال النفس وأن تتعب وتسهر لفعل شيء ما، فكلنا ناس فاضلون، وفي نظر الوردي هذا يصلح لمجتمع الملائكة وليس للبشر، فهذه ليست طبيعتنا فيرى البرفسور (كارفر) أن التنازع صفة أساسية في الطبيعة البشرية (الريكاني، 2021)

5. أسباب التنازع البشري:

ويرجع (كارفر) التنازع البشري إلى سببين ويقول عنهما إنهما طبيعيان في الإنسان، وهما: (الوردي : **مهزلة العقل البشري**، ص 89)

- استحالة إشباع الحاجات البشرية كلها.

- حب الإنسان لنفسه وتقديره إياها أكثر مما تستحق في حقيقة أمرها :

ليس في هذه الدنيا شيء يمكن أن يتلذذ به الإنسان تلذذًا مستمرًا، فكل لذة مهما كانت عظيمة تتناقص تدريجيًّا عند تعاطيها، وهذا هو ما يعرف في علم الاقتصاد الحديث بقانون "المنفعة المتناقصة."

ويقول عالم الاجتماع العراقي (علي الوردي): "الإنسان يشتهي أمورًا لو تأمل فيها لوجدها تافهة لا تستحق العناء والتكالب، ولكنه مدفوع نحوها بدافع الإيحاء الاجتماعي الذي يشبه التنويم المغناطيسي من بعض الوجوه، انظر إلى ذلك الأنيق الذي يلبس الملابس الثقيلة في وقت الحر، إنه يضيق بها على نفسه ويتحمل من جرائها المشقات، وهو لا يبتغي من وراء ذلك إلا إعجاب الناظرين إليه، إنه يدري أن هذا الإعجاب لا يفيده وقد يضره ولكنه رغم ذلك مصرٌّ على تحمل الآلام تحت تأثير الإيحاء الاجتماعي الذي يقسو عليه" (الريكاني، 2021)

لذا فالإنسان إذا نال ما بنفسه لا يكتفي سوف يبقى يجري وراء أمور أخرى وحاجات أخرى، فإذا شبع الإنسان فقد أهم عناصر الحركة الضرورية لحياته الاجتماعية، فما نراه اليوم من كماليات قد يغدو بعد مدة من الضروريات، والإنسان في تطور وحركة متواصلة وهذا سر حضارته.

فلو نظرنا لمجتمع النحل، نجد فيه كل نحلة تسعى نحو القيام بوظيفتها الاجتماعية من غير تذمر أو احتجاج، وتبقى الملكة مطمئنة على عرشها المصون لا يأتي ببالها أن يقول أحد رعاياها لماذا هذا الترف والراحة وأنا أسعى لجمع العسل طوال عمري، وسبب ذلك أن النحل يتحرك في أعماله حركة غريزية تشبه في بعض وجوهها حركة الآلة التي لا تشعر بذاتها. (الريكاني، 2021)

لهذا نجد مجتمع النحل باقيًا على حاله ملايين السنين لا يتطور ولا ينمو، أما المجتمع البشري فهو في تطور مستمر والإنسان حين يخدم مجتمعه يخدمه وهو يريد من وراء ذلك جزاءً، فغريزته لا تدفعه إلى الخدمة الاجتماعية، فيكون الدافع إلى الخدمة الحصول على القوت من جهة ومن أجل حب المكانة والظهور من جهة أخرى، ولعل في ذلك تطبيقًا صريحًا لكون المثالية والمثل العليا عبارة عن صورة جميلة نتقمصها في كثيرٍ من الأحيان، فهي حالة من اللاوعي الداخلي نطبقها بوعي خارجي من أجل أن تكون الصورة أمام الغير مثالية لا أن نكون مثاليين، وترى على ذلك أن الفرد في المجتمع الذي لا يقدره تقديرًا مرضيًا يلجأ إلى الشكوى والصراخ، ويقول هكذا يصعد الأدنياء ويهبط الشرفاء. (الريكاني، 2021)

لذا فإن الإنسان يجد نفسه أحيانًا ينافس أحد أفراد أسرته أو أصدقائه أو أمة تنافس أمة، أو قد يولد حقد الإنسان على أخيه أو الصديق على صديقه طاقة محفزة تجبر الآخر إلى السعي وتقديم أفضل ما عنده لكي يثبت نفسه، وهو بذلك يسير معه الحضارة البشرية، وأيضًا على مستوى أمم وحضارات كاملة تتنافس فيما بينها لتثبيت أفكارها، في حين تسعى الحضارات الأخرى إلى المنافسة سواء بالحروب أو بالفكر أو التكنولوجيا أو بأي صورة أخرى. (الريكاني، 2021)

وهذا لا يعني أنه يجب التخلي عن القيم والمثل العليا، بالعكس بل الحرص عليها لكن من زاوية الطبيعة البشرية لا من زاوية القيم والصفات الملائكية، فالواقع أنه ليس بالإمكان تخليص المجتمع من المشكلات فإن وجود المشكلات هي دافع من دوافع التطور ودفع الحضارة البشرية إلى الأمام، ولولا هذه المشاكل لقنع الناس واستكانوا ووقفوا دون تطور أو تقدم، لذا فإننا نريد أن نقر طبيعة البشر ونقننها، ولما جاء الإسلام جاء لكي يضع شرطًا وحدودًا للطبيعة البشرية وإعادة تحويرها، وليس محاربتها؛ فهو أجاز التنازع والتنافس لكن ضمن حدود مشروعة كأن يكون تنافسًا علميًّا حضاريًّا فكريًّا بما فيه فائدة المجتمع، لذا فإن بعض الحالمين بالمدينة الفاضلة يرون أن الحركة أمر طارئ وأن السكون هو الأصل في الكون، فإما طمأنينة مع ركود، أو قلق مع تطور (الريكاني، 2021)

نستخلص من هذا أن البشر لا يمكن أن يتفقوا على رأي واحد أو عقيدة واحدة حتى لو جئنا لهم بأقوى البراهين العقلية واوضحها فالبرهان الواضح في نظرك قد يكون سخيفا أو تافها في نظر غيرك ، ومشكلة الانسان أنه حين يعتنق رايا أو عقيدة يتصور أن الحق كل الحق معه وأن الباطل كل الباطل مع خصمه ، وقد يدفعه إلى بغض خصمه والحقد عليه وهنا يكمن السبب الأكبر للتنازع البشري (هليل، علي الوردي في النفس والمجتمع، ص107) ، وقد ورد في القرآن بعض الآيات التي تشير إلى أن التنازع ظاهرة بشرية عامة نذكر بعضها فيما يلي:

(ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118)إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ119)) (سورة هود، الآية ، 118، 119)

(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251)) (سورة البقرة ، الآية ، 151)

فالقرآن الكريم - في نظر الوردي- قد سبق الانسان في نظرته الواقعية لطبيعة الانسان قبل علم الاجتماع الحديث. (هليل، علي الوردي في النفس والمجتمع، ص 108)

6. التنازع أو التعاون؟:

ينتقد الوردي فكرة الطوبائية في دراسة المجتمعات ، حيث يقول الوردي أن غالبية الناس التي تدعوا إلى الفضيلة ويتشدقون بالمواعظ العالية هم أنفسهم لا يستطيعون تحقيقها فنراهم في حياتهم العملية يتحاسدون ويتكالبون ويتنازعون كما يفعل غيرهم ، وهذا ليس ذم لهؤلاء الناس بل طبيعة التنازع والتحاسد والتنافس صفة من صفات الانسان لازمة له لا خلاص منها لا فرق في ذلك بين العالم والجاهل ولا ينكر الوردي وجود فرق بين الجاهل والعالم في ذلك من حيث أن العالم يستطيع أن يخفي حبه للمنافسة والنزاع تحت شعار حب الوطن ومصلحة الأمة أو إخفائه تحت ستار بعض من الآيات والأحاديث ، أما الجاهل فإنه يتنازع ويتكالب لكن دون أن يستر عمله بستار من التأويل و التسويغ ، يده على خنجره في بطن خصمه- يقول الوردي- (الوردي، مهزلة العقل البشري، ص 114)

يجب أن لا ننسى أن الانسان هو حيوان قبل أن يكون إنسان وهو وحشي قبل ان يكون مدنيا ، فقد أخطأ أرسطوطاليس عندما قال "الإنسان مدني بطبعه" والصحيح أن الإنسان وحشي بطبعه ومدني بالتطبع، فهو مهما تظاهر باللطف والمجاملة وتباهى بترديد الأفكار السامية والمثل العليا حيوان مفترس في أعماق نفسه وما المظاهر التي انخدع بها المفكرين القدماء إلا غطاء يستر بها الإنسان طبيعته الأصيلة حيث اذا قام أحد بتهديد مصلحته أو منزلته تراه قد تنمر عليك وكشر عن أنيابه. (الوردي، مهزلة العقل البشري، ص 114)

انشغل الفلاسفة القدماء بتبيان معالم المجتمع الطوبائي الذي يحلمون به واهمال المجتمع الواقعي الذي نعيشه واهتموا بتكوين مجتمع خيالي يسعد الإنسان ، وهذا هو الذي جعل جهود الفلاسفة تذهب سدا فلو اهتموا بدراسة المجتمع الواقعي وفي التحري عن النواميس التي تسيطر عليه لكنا اليوم نملك كنزا فكريا ثمينا . (الوردي، مهزلة العقل البشري، ص 115)

ظهر من بين المفكرين القدماء مفكر واحد وهو ابن خلدون حيث استطاع أن يشذ عن طريقة زملائه في التفكير وأخذ يبحث في المجتمع كما هو دون ذم أو استهجان ، أما المفكرين القدماء فقد كانوا ينظرون للمجتمع الواقعي نظرة ذم واحتقار ويعدون أنفسهم أسمى من دراسته جل همهم

انصب في دراسة المجتمع العالي الذي يتخيلونه ، فابن خلدون كان يعتقد أن المجتمع العالي الذي يتخيله الفلاسفة أمر مستحيل تحقيقه على هذه الأرض إذ أنه يحتاج إلى بشر من نوع غير هذا النوع لتحقيقه . (الوردي، مهزلة العقل البشري، ص 115)

يقول ابن خلدون : إن التنازع عنصر أساسي من عناصر الطبيعة البشرية فكل إنسان يحب الرئاسة وهو لا يتردد عن التنازع والتنافس في سبيلها إذا وجد في نفسه القدرة على ذلك ، وهذا الرأي أصبح الآن محورا لكثير من النظريات التي جاء بها علماء علم الاجتماع الحديث(الوردي، مهزلة العقل البشري، ص115)

حيث يرى الوردي في قول صموئيل أن الحياة الاجتماعية عبارة عن خيط وسكين فالخيط يربط الناس بعضهم ببعض والسكين تقطع الرباط بينهم قول صائب ، حيث أن المجتمع البشري لا يخلو من التنازع كما لا يمكن أن يخلوا أيضا من التعاون كلا الأمرين متلازمين في حياة الناس ولا يمكن أن يظهر أحدهما إلا وأن يظهر الآخر. (الوردي، مهزلة العقل البشري، ص116)

إن التعاون والنزاع هما دعامتا الاجتماع البشري وقد اتضح لدى علماء النفس أن البغض والحب متلازمان في النفس البشرية كتلازم التعاون والنزاع في المجتمع . (الوردي، مهزلة العقل البشري، ص116)

فالمجتمع البشري يحتاج إلى قدمين يمشي عليهما ، وهاتان القدمان هما عبارة عن جهتان متضادتين ومن الصعب على المجتمع السير بقدم واحدة. (الوردي، مهزلة العقل البشري، ص120)

7. الصراع داخل الاسلام:

يتطرق الوردي إلى أصول الصراع داخل الإسلام، ويخلص فيهما إلى أنّ طبيعة الإسلام تحددت بصورة عامة بالحكم البدوي الذي نجم عنه صراع بين نزعتين متعارضتين جذرياً: نزعة التعالي والكرامة والواقعية ضد نزعة الخضوع والذلة والمثالية، أصحاب الأولى كانوا مهتمين أكثر بتأسيس دولة، بينما يهتم الطرف الثاني بتأسيس دين، أو بتعبير آخر هو صراع بين العبد والسيد كما يعبر عنه نيتشه حيث تكمن معضلة الاسلام في أنه دولة ودين في نفس الوقت أي منها اذا ليس أقرب الى روح الاسلام من الآخر ، يبدو أن الاختلاف يكمن في أن الأول ينظر للإسلام من جانب سياسي

بينما ينظر إليه الآخر من وجهة نظر دينية بحتة الاسلام بالنتيجة ما زال بعيدا عن كلا الفريقين ولا زال الفريقان قرني المعضلة الحادين. **(الوردي، دراسة في سوسيولوجيا الاسلام ، ص151)**

8. خاتمة

من خلال هذه الدراسة نجد أن الوردي حاول إبراز أهمية الصراع الاجتماعي باعتباره أحد أهم المحاور التي يمكن من خلالها فهم وتحليل المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع العراقي بصفة خاصة ، حيث يرى الوردي أن الصراع الاجتماعي ليس مجرد ظاهرة سلبية تؤدي إلى الانقسام والعنف، بل هو جزء أساسي من الديناميكيات الاجتماعية و محرك رئيسي للتغيير.

حيث ينقسم التنازع البشري إلى أربعة أقسام ، تنازع يقترب إلى الطبيعة الحيوانية يميل فيه الشخص لإيذاء خصمه ، وتنازع يدخل فيه نوع من الذكاء مثل السرقة والاحتيال وتنازع يسود العالم المتحضر مثل الحملات الانتخابية وتنازع آخر يسود فيه المنافسة العلمية والاقتصادية ، حيث يقول الوردي أن الانسان مجبول على التنازع في صميم تكوينه فإذا قل التنازع في المجتمع تجده يخلق صراع في المجتمع حتى لو كان صراعا وهميا .

وترجع أسباب الصراع من وجهة نظر الوردي الى عدة أسباب منها : حب الإنسان لنفسه وتقديرها أكثر من اللازم بالإضافة إلى استحالة اشباع الحاجات البشرية كلها، وصولا إلى أن الإنسان مجبول بطبيعته على المنافسة والسيطرة وحب الظهور الأمر الذي يدفعه للدخول في صراع مع الآخرين حتى لو كانوا عائلته لتحقيق أهدافه وهو الأمر الذي يؤدي بالمجتمع إلى التطور والتغير فالصراع يلعب دور المحرك الاجتماعي كما أشرنا سابقا، فالتعاون وحده ليس كافيا لبناء المجتمع ، فالمجتمع البشري يحتاج إلى قدمين يشكلان جهتين متضادتين من الصعب على المجتمع السير بقدم واحدة.

أما بخصوص الصراع داخل الاسلام وأصله فيرى الوردي أن هذا الصراع هو صراع بدوي صراع بين نزعتين نزعة الكرامة والتعالي ونزعة الذلة والخضوع والمثالية ، فالنزعة الأولى تسعى لتأسيس دولة أما الثانية فتسعى لتأسيس دين .

الاقتراحات: بعد عرض النتائج التي توصلنا اليها في هذه الدراسة نقترح ما يلي :

- ضرورة إجراء مزيد من الدراسات حول التنازع والصراع البشري كظاهرة اجتماعية.

- إبراز أهمية الصراع الاجتماعي في تطور المجتمع من وجهة نظر علماء اجتماع آخرين سواء عرب أو أجانب .

- محاولة فهم وتحليل الأسس التي يقوم عليها الصراع في الوطن العربي بأبعده الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية.

9. قائمة المراجع:

- الوردي، علي(1994)، ***مهزلة العقل البشري*** ، دار كوفان ، ط 2 ،لندن .

- الوردي، علي(2013)، ***دراسة في سوسيولوجيا الإسلام*** ، الوراق للنشر والتوزيع ،ط1 ، بغداد ، العراق ، الفرات للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان .

- هليل،سعدون (2011)، *علي الوردي في النفس والمجتمع*، مكتبة بساتين المعرفة ، ط1، بغداد ، العراق.

- الريكاني، مهند (2021/07/15)، ***الباحثين عن المدينة الفاضلة*** ، نشر بتاريخ : 14 /2015/11 ، www.sasapost.com/opinion/uotopia/ ، سا: 10:00

- حسين سرمك ، حسن(2021/03/16)،***الوردي ، المدنية مسرح الشيطان*** ، نشر بتاريخ : 2015/01/13 ، www .odabasham.net ، سا: 10:00

- مدونة فكر بلا قيود(2016/07/19)، ***من هو المفكر العراقي علي الوردي*** ، https://fakkerfree.wordpress.com ، سا: 12:00.